بواعـــث ازدهار النشـــاط
الاقتصادي فى العصر العباسى الأول
(١٣٢ ـ ٢٣٢هـ / ٧٤٩ ـ ٨٤٧م)

د٠ ضيف اللـــه يحيى الزهرانى(*)

شهد قيام الدولة العباســـية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م اكتمال بناء الدولة الاسلامية التى امتدت من الأندلس وبحر الظلمات غربا حتى الهند وجوف القارة الآسيوية شرقا٠وكان أن أفاد المسلمون من ذلكالموقع الفريد فى قلب العالم المعروف ، وتلك الموارد الاقتصـــادية الضـــخمة التى فاضت بها خزائنهم فى بناء أكبر صرح حضارى عرفه العالم فى العصور الوسطى٠٠ ومن المعروف أن الاقتصاد يمثل عماد أية قوة سياسية أو نهضة حضارية ، ولذا أهتم الخلفاء العباســـيون الأوائل برعاية الأوضاع الاقتصـــادية ، وتكاتفت عدة عوامل لتجعل ذلك النشاط الاقتصادى دعامة قوية أستندت اليها الدولة فى تحقيق أسباب القوة والعظمة الحضارية ٠

والملاحظ فى الدراسات التاريخية الحديثة أنها فى الكلام عن النشاط الاقتصادى فى العصر العباسى الأول،وجهت معظم اهتماماتها نحو مظاهر هذا النشاط ، دون التطرق الى العـــوامل التى ساعدت على ازدهاره والقوى ـ الظاهرة والباطنة ـ التى ســاعدت على نجاحه وانتعاشـــه ٠ ولذا رأينا فى هذا البحث أن نحاول القاء الأضـــواء على **العوامل التى ساعدت على انتعاش النشاط التجارى والصناعى بوجه خاص** ، حيث أن النشاط الزراعى حظى بدراسات عديدة من نواحى اصلاح الأرض وتوفير الماء ، وبناء السدود والقناطر ، وحفر الترع ومراعاة العدالة فى جمع الخراج وغير ذلك ٠٠٠٠

وفى هذه المقدمة لا يفوتنا أن ننوه أن الله عز وجل امتدح التجارة

(*) أستاذ مشارك بجامعة أم القرى ٠

الحلال ، وأن الرسول ﷺ أمتدح التاجر الأمين ، وفى الوقت نفسه حث الاسلام على العمل ـ بأوسع معانيه ـ بما فيه العمل الفكرى واليدوى وغير هذا أو ذاك . فالله عز وجل يقول محلا التجارة الخالية من الربا (وأحل الله البيع وحرم الربا)(١) ، وأما الرسول ﷺ فقد سئل ، أى الكسب أفضل أو أطيب ؟ فقال « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرر »(٢) ، وقال الله تعالى فى المجال الصناعى والمواد الأولية التى تستخدم فى الصناعة (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)(٣) وهكذا نشطت التجارة والصناعة فى الدولة الاسلامية لفضل ما تهيأ لها من عوامل عدة ، وأصبحت تفوق التجارات والصناعات العالمية ، حيث عنى الخلفاء بتنظيم أمورهما ، والاشراف المباشر عليها من أجل منع الغش فى التجارة والصناعة والانتاج ، ومنع التحايل والتدليس فى المعاملات(٤) ، والمتأمل فى صادرات الدولة وارداتها يدرك قوة الازدهار التجارى فى ذلك العصر ، كما أن المتأمل فى عدد المصانع فى بغداد وحدها ، يدرك قوة الازدهار الصناعى ، فقد قدر عدد الطواحين بـ (٤٠٠ رحى) مائية ، و (٤٠٠٠) معمل لصنع الزجاج و (٣٠٫٠٠٠) معمل لصنع الخزف(٥) . هذا الى أن الحرف والمهن التى أوردتها كتب الحسبه(٦) ، والتى تعج بعديد الصناعات المتنوعة تدل على قوة الصناعة وتطورها . وقد خص كل أهل تجارة أو صناعة أو حرفة بسوق خاص، مما أدى الى كثرةالأسواق وتنوعها وبالتالى الى ازدهار النشاط الاقتصادى .

أما عن العوامل التى ساعدت على هذا النشاط والازدهار ـ وهى موضوع دراستنا ـ فنستطيع أن نجملها فيما يلى :

أولا : الموقع الجغرافى :

كانت الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول تمتد امتدادا شاسعا وتضم العديد من الشعوب ذات الأصول المتباينة والجذور المختلفة ، فضلا عن الأقاليم ذات الموارد الاقتصادية المتنوعة . وحسب هذه الدولة عندئذ أنها امتدت من حدود الصين شرقا حتى سواحل بحر الظلمات أو البحر المحيط أو المحيط الأطلسى غربا ، ومن أواسط بلاد النوبة جنوبا حتى حدود دولة الفرنجة وشاطىء بحر بنطش أو البحر الأسود شمالا ،

وبذلك اطلت هـــذه الدولة على محيطات وبحار وخلجان عدة ، حتى غدت الدولة الاسلامية تمثل سرة العالم القديم وحلقة الوصل بين أجزائه وأطرافه ، وصار العراق مركز الخلافة يكون « جسرا بين ايران والهند وأواسط آسيا والصين من جانب ، والجزيرة العربية ، والشام ومصـــر والمغرب من الجانب الآخر »(٧) ، ولا شك أن هـــذا الموقع الجغرافى الفريد ساعد على ازدهار النشاط الاقتصادى فى ميادين التجارة والصناعة.

ثانيا : سهولة التعامل النقدى :

كانت الدولة العباسية تتبع نظام المعدنين Bi-Metallic System أى تتعامل بالدينار الذهب ، والدرهم الفضة فى جميع معاملاتها الرسمية والتجارية(٨) . ولعل سبب شيوع التعامل باحد المعدنين أو بهما معا كان يتوقف على مدى توافر الذهب أو الفضة آنذاك،وبقيمتهما فى السوق. والذى لابد من معرفته هنا هو أن هناك أقاليم فى العصر العباسىالأولشاع فيها استخدام احدى العملتين نظرا لتوافر المعدن الخام بتلك الأقاليم ، ولكن هذا لا يعنى الغاء استخدام العملة الأخرى ، بمعنى أن العملتين سارتا جنبا الى جنب فى جميع المبادلات التجارية ، فمثلا : كان الدينار الذهب يسود فى أقاليم مصر وشمال افريقية وبلاد الشام ، وكان الدرهم الفضة سائدا فى أقاليم العراق وايران ووسط وشرق آسيا(٩) وعد خلفاء العصر العباسى الأول كلا من الدينار والدرهم قاعـــدة للنقد معمولا بها رسميا حتى لا يضار أحد من تجار الدولة سواء فى افريقية أو فى مصر أو فى الشام أو فى العراق أو غيرها من الاقطار .

ثالثا : كثرة الأموال وارتفاع مستوى المعيشة :

يستدل بالنظر الى قوائم الايرادات التى اعتمـدت لميزانية العصر العباسى الأول على كثرة الأموال والثروات الطائلة التى كانت سببا مباشرا للازدهار الاقتصادى المتعدد الوجوه ، وقد ورد ذكر ثلاث قوائم مالية لعهود بعض الخلفاء العباسيين هى : -

أولا : قائمة الجهشيارى (١٠) عملها لميزانية الدولة فى عهد الخليفة

هـــارون الرشـــيد (١٧٠ ــ ١٩٣هـ/٧٨٦ ــ ٨٠٨م) وكان مقـــدارها (٥٣٠ر٣١٢ر٠٠٠) درهم ٠

ثانيا : قائمة ابن خلدون(١١) عملها لميزانية الدولة فى عهد الخليفة المأمـــون (١٩٨ ــ ٢١٨هـ/٨٢٣ ــ ٨٣٣م) وكـــان مقـــدارها (٣٩٤ر٢٥٤ر٠٠٠) درهم ٠

ثالثا : قائمة قدامة بن جعفر(١٢) ويرجح أنه عملها لميزانية الدولة فى عهد الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ــ٢٢٧هـ/٨٨٣ــ٨٤٢م) وكان مقدارها (٤١١ر٢٣١ر٠٠٧) درهم ٠

ومن هذه القوائم يستدل على ضخامة الثروة ووفرة العملة والنقود ٠ وهذا فى حد ذاته خير مشجع على المشاركة فى النشاط الاقتصادى مـ يؤدى الى دفع مسيرة ذلك النشاط ٠٠ ولا شك فى أن كثرة الأموال أدت الى ارتفاع مستوى المعيشة بين أفراد المجتمع ، وهو أمر جاء مصـــحوبا بقدر من حياة البذخ والترف ٠

رابعا : وفرة الأسواق وتنظيماتها :

زخرت الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول بعـدد كبير من الأسواق مثل أسواق (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء ، ودمشق، وبغداد ، والاسكندرية ، والكوفة ، والبصرة والفسطاط ، والقيروان) ومن الواضح أن كثرة الأسواق وتعدد أنواعها تعتبر عاملا هاما فى تنشيط المعاملات الاقتصادية ومظهرا لحيـــوية المـــدن واتساع نطاق النشـــاط الاقتصادى فيها(١٣) ، ونظرا لأهمية الأسواق فقد كان يخطط لها مع تخطيط المدن(١٤) ، وقد وصل أمر تنظيم الأسواق أن خص أهل كل تجارة بسوق خاص ، منفردة ، « وكانت المدن بصورة عامة أسواقا لما يحيط بها من قرى وأرياف ، فهى مخازن لانتاجها ، ومراكز تبيع لهـا ما تحتاج اليه من مواد »(١٥) ، لذا نجـد أن الأســـواق قامت بالدور الايجابى المميز فى ازدهار الأنشطة التجارية والصناعية ٠

خامسا : العناية بطرق التجارة :

تنقسم طرق التجارة الى قسمين كبيرين :

أولا : طرق مائية (بحرية أو نهرية) ، وكانت البحار التي تشق عبا بها مراكب المسلمين هى : بحر الظلمات (المحيط الأطلسى) وبحر الهند (المحيط الهندى) وبحر العرب ، وبحر القلزم (البحر الأحمر) وبحر الروم (البحر المتوسط) ، فضلا عن البحار الداخلية مثل : الخليج العربى ، وبحر بنطش (الأسود) ، وبحر الخزر (قزوين) ، أما الأنهار فقد تميزت منها ثلاثة أنهار رئيسية هى (النيل ودجلة والفرات) ،وقد قامت هذه البحار والأنهار بدور كبير فى النشاطالتجارى اذ غدت طرقا مألوفة للسفن التجارية ، وأسهمت أسهاما واضحا فى النشاط التجارى ، سواء التجارة المحلية الداخلية ، أو التجارة الاقليميه أو العالمية ، ووجدت محطات على امتداد الطرق البحرية والنهرية لجباية الضرائب ، فضلا عن حراسة المراكب(١٦) ٠

أما القسم الثانى : فنعنى به الطرق البرية التى كانت تمثل شبكة داخلية وخارجية واسعة،سهلت على التجار نقل بضائعهم وتسويقها(١٧)٠ وقد ارتبطت بغداد حاضرة الخلافة بشبكة من الطرق البرية على النحو التالى :

١ ـ الطريق الشرقى الى حلوان ثم أواسط آسيا ٠
٢ ـ الطريق الشمالى الى الموصل والجزيرة ٠
٣ ـ الطريق الجنوبى الى واسط ثم البصرة ٠
٤ ـ طريق جنوبى غربى الى الكوفة ثم الى الجزيرة العربية حيث ينتهى باليمن ٠
٥ ـ طريق غربى الى الرقة ثم الى الشام ومصر(١٨) ٠

وأقيمت على امتداد هذه الطرق خانات للمسافرين وللتجارة يرتاحون فيها ويحفظون فيها تجاراتهم ٠ وكانت تعقد فيها الصفقات التجارية وعمليات البيع والشراء(١٩) ، ولا شك فى أن وفرة الطرق والعناية بها وتعبيدها وتوفير وسائل الراحة للمسافرين على أمتدادها ٠٠٠

(مجلة المؤرخ العربى)

كل ذلك شجع على الرحلة ، وبالتالى على نقل البضائع وسفر التجار من اقليم الى آخر • هذا بالاضافة الى حرص الخلفاء على توفير الأمن للمسافرين والضرب بشدة على أيدى المعتدين والعابثين ، بحيث غدت الدولة الاسلامية تمثل واحة كبيرة يسودها الأمن والسلام مما أدى الى ازدهار النشاط الاقتصادى بوجه عام والتجارى بوجه خاص •

سادسا : تجنب الأساليب التجارية المحرمة :

حرص المسلمون فى معاملاتهم الاقتصادية على الالتزام بالحـــلال وتجنب الحرام ، فاعرضوا عن كل ما نهى عنه الدين ، وقامت الدولة بتطبيق احكام الشريعة ومراقبة النشاط الاقتصادى فى الأسواق والمحطات التجارية والمدن • وكان أهم ما تجنبه المسلمون فى معاملاتهم هو : ـ

(أ) الربا : وهو الزيادة غير المشروعة • قال الله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا)(٢٠) ، وقد حرم الربا لعلة فى ذاته ، لمـــا فيه من القسوة واستغلال ضرورة المعوز وحاجته • ولما كانت بعض جذور الربا راسخة عند التجار من أهل الذمة وخاصة فيما يتعلق بصرف النقود وتسعيرها(٢١) ، فقد كان يتم التعـــامل معهم فى نطاق ضيق يشوبه الحذر الشديد •

(ب) **الاحتـكار** : وهو احتجاز السلعة لغرض تأخير بيعها حتى يرتفع السعر • قال الرسول صلى الله عليـــه وسـلم « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون »(٢٢) والهدف من تحريم الاحتكار هو كشف الضـــرر عن عموم الأمة الاسـلامية ووقايتهم من المحتـــكرين فى حبس الأقوات وغيرها من ضرورات الحياة ومنعواستئثارهم بتوزيعها دون سائر المنتجين والموزعين للحيلولة دون التحكم فى أسعارها كما يشاؤون(٢٣) •

ولما كانت المحافظة على حرية التجارة والصناعة هى الهدف السامى الذى من خلاله تتحقق المحافظة على مستوى الحياة الاجتماعية فاننا لم نجد أى ذكر للاحتكار خلال فترة هذه الدراسة •

سابعا : تنشيط العلاقات الاقتصادية مع الدول الأخرى :

تمتعت الدولة العباسية فى عصرها الأول بعلاقات تجارية مميزة مع جيرانها كان لها أكبر الأثر فى ازدهار التجارة والصناعة . ومن الدول والبلاد التى كانت لها علاقات اقتصادية مع الدولة العباسية نذكر ، (بلاد الصين ، والهند ، وشرق افريقية، وأوروبا)(٢٤). وهذه العلاقات ساعدت على الانتعاش الاقتصادى ، فكانت الدولة الاسلامية تصدر الى العالم الخارجى : (الأقمشة القطنية والمنسوجات الحريرية والتمور وماء الورد،وبعض أنواع الحبوب والعسل والموازين والصابون والزيت والاقلام والخيل العربية الأصيلة(٢٥) ... الخ) . هذا بالاضافة الى ما يمكن أن نسميه (تجارة المرور) وهى البضائع والغلات التى كانت تمر بأرضى الدولة الاسلامية ، بمعنى أنها ترد اليها لتصدر منها الى بلاد أخرى . وكانت ترد الى أسواق الدولة فى العصر العباسى الأول الكثير من التجارات الخارجية مثل : (التوابل والأسلحة ، والأحجار الكريمة والعطور والرصاص وأنواع السجاد(٢٦) ... الخ) . وبعض هذه المنتجات كالتوابل والعطور والبخور والحديد كان يعاد تصديرها .

ولا يخفى علينا ما للعلاقات الاقتصادبة من آثار ايجابية فى الدولة العباسية وخاصة فى المجالات التالية : ـ

(أ) تنشيط حركة الموانىء الاسلامية .
(ب) ازدهار بعض المدن ، وخاصة الساحلية وبعض الثغور .
(جـ) توسع المؤسسات المصرفية .
(د) زيادة ايرادات الدولة .
(هـ) التنوع فى عناصر السكان .

يضاف الى هذه الايجابيات انتشار الاسلام فى كثير من البقاع والأصقاع عن طريق النشاط التجارى الكبير الذى مارسه التجار المسلمون.

ثامنا : وفرة اعداد الحرفيين والمهنيين :

زخرت الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول بعدد وافر من

عمال الحرف والمهن ، وهذا العدد لم يكن متوافرا بتلك الكثرة قبل حركة الفتوحات الاسلامية • ذلك أن الدولة الاسلامية كانت على قدر كبير من الحنكة والسياسة فى معاملة أهالى تلك البلاد المفتوحة حيث أنها عملت على رعايتهم والاهتمام بهم كل فى مجال تخصصه • كذلك سمحت لهم بممارسة نشاطهم الحرفى فى حرية تامة • وأدى ذلك الى أن تتلمذ كثير من أبناء المسلمين على أيدى أرباب الحرف الفنية وأتقنوها(٢٧) يضاف الى ذلك أن الخلفاء العباسيين [عملوا على استقدام كثير من الأيدى الفنية الماهرة من البلاد الأخرى المجاورة(٢٨) ، وخاصة أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ/٧٥٤ - ٧٧٥م)] ، وهذا يعنى (أيضا) كثرة الأيدىالعاملة من ذوىالخبرة والمهارة فى الصناعات بجميع أنواعها•

تاسعا : توافر المواد الخام :

أدى اتساع الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول الى تنوع الثروات ومواردها الأولية ،وذلك لتباين طبيعة الاقاليم التى ضمتها تلك الدولة • ومن أهم هذه الثروات والموارد :

(أ) الثروة المعدنية ، مثل الذهب ، الفضة ، الحديد ، النحاس ، الرخام ، الكبريت ، الرصاص ، النفط ، الزئبق ، الكحل ، الملح طين الختم(٢٩) ، النشادر ، العقيق ، العنبر ، اللؤلؤ •

(ب) الثروة الزراعية ، وخاصة القطن •

(جـ) الثروة الحيوانية ، وخاصة الصوف ، والجلود(٣٠) •

(د) الثروة البحرية وخاصة الاصداف واللؤلؤ والأسماك وغيرها •

هذه الثروات هى التى شكلت كيان العديد من الصناعات المتباينة • هذا بالاضافة الى أن توافر المواد الخام خلق مجالات صناعية متعددة كان لها أكبر الأثر فى ازدهار النشاط الصناعى أولا ثم النشاط التجارى (مجال التسويق) ثانيا •

عاشرا : تشجيع الدولة ورعايتها للتجارة والصناعة :

كان لدعم خلفاء الدولة العباسية الأولى أثره الواضح والبين فى

ازدهار التجارة والصناعة.ذلك أنهم شجعوها بكل الوسائل المتاحة،فعملوا على بناء الأسواق وتنظيمها ، وفرضوا عليها الرقابة المستمرة من قبـــل المحتسب(٣١) ، للوقوف على جـــودة السلع ونظافتها ومدى مطابقتها لحاجات المجتمع .

يضاف الى ذلك ما سبق أن أشرنا اليه من حرص الدولة على توفير الأمن والحماية للتجار والصناع ، فكان للأمن أثره الواضح فى تحقيق الازدهار الاقتصادى . وأسندت الى الشرطة مهمة المحافظة على الأمن الداخلى لئلا ترتكب المحرمات والمخالفات والمحظورات(٣٢). كذلك أسند الى جند الثغور المحافظة على الأمن من الاعتداءات الخارجية ، وبذلك غدا للأمن الداخلى والخارجى أثره فى اســتقرار التجارة والصناعة ، فنشطت حركة السفن والقوافل التجارية .

احدى عشر : رقى الصـناعات وتطـورها نتيجة للنشـاط التجارى والعـكس :

لقد نال قطاع الصناعة كل رعاية واهتمام من خلفاء العصر العباسى الأول ، الأمر الذى نتج عنه ازدهار صناعات عديدة فى مجالات مختلفة على النحو التالى :

(أ)صناعة المواد الغذائية وصناعةالأدوات الزراعية وأدوات البناء.

(ب) صناعة النسيج بمختلف أنواعه .

(جـ) صناعة الفخار وأوانى حفظ المياه .

(د) الصناعات المعـــدنية مثل ، صـــناعة الأسلحة ، والحدادة والرصاص ... الخ .

(هـ) صناعة أدوات الزينة مثل صـناعة العطور والكحل والحلى بمختلف أنواعها .

(و) صناعات أخرى متنوعة مثل ، صناعة الورق والأقلام وصناعة الصفارين(٣٣) .

وهذا التطور الصناعى كان له أكبر الأثر فى تنشيط التجارة الداخلية

والخارجية فقد وجدت أسواق خاصة ببعض الصناعات مثل سوق الشماعين وسوق السلاح وسوق الجوخيين وسوق الصاغة وغيرها(٣٤) ، ومن خلال العرض الذى سبق فى رقم (٧) نتبين من خلال الصادرات مدى قوة نشاط الدولة فى صناعتها وتجارتها. وهذا يقودنا الى أمر مهم ، وهو استقلالية الصناعات من جهة ، ومن جهة أخرى ارتباط الصناعات بمناطق وجود المواد الخام من جهة أخرى(٣٥) .

الثانى عشر : توافر الحرية :

ان الاسلام دين السماحة والعدالة ، فهو يدعو الى المنافسة الحرة الشريفة التى تستهدف الخير لكل من البائع والمشترى . ولم يفرق الاسلام فى المعاملة بين المسلمين وغيرهم فى الأنشطة الاقتصادية،لذا كانت حرية العمل الشريف متاحة للمسلمين وغيرهم.ومع ذلك فان بعض الحرف غلب عليها غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى . ويعود ذلك الى عامل الوراثة والظروف الاجتماعية، وأحيانا الى طبيعة العقيدة والدين . وكان الناس أحرارا فى اختيار المهنة التى يريدون(٣٧) . من ذلك أن أهل الذمة عندما عملوا فى الأنشطة التجارية والصناعية ، أحترفوا الحدادة وصناعة الحرير والزجاج والدباغة والصباغة ، بالاضافة الى احترافهم مهنة الصرافة(٣٧) .

وقد كفل لهم الاسلام حرية التجارة بين بلدان العالم الاسلامى والخارجى وكانت لهم تجارتهم المميزة ، وبخاصة فى (الفراء ، والسيوف ، والغلمان ، والجوارى ، والديباج ، والعود ، والكافور ، والمسك) ، وكلها تجارات ثمينة .

وهكذا فان حرية الحركة والعملكفلت ـ بلا شك ـ الازدهار التجارى والصناعى ، بحيث لم يكن ذلك النشاط مقصورا على أبناء الأمة الاسلامية وحدهم ؛ الأمر الذى يؤكد سماحة الاسلام وعظمته .

ثالث عشر : مرونة أساليب التعامل الاقتصادى :

صاحب نشاط التجارة والصناعة تطبيق بعض الأساليب التى كان

لابد منها من أجل تسهيل مرونة الحركة التجارية والصناعية • ومن هده الأساليب نذكر ما يلى : ـ

(أ) انتشار الصيرفة : وهى حرفة قديمة جدا ، كان الغرض منها :

١ ـ تقييم النقود من حيث الجودة والوزن •

٢ ـ تحويل النقود أو صرفها لأغراض تجارية(٣٨) •

وكان للصيارفة علاقات مباشرة مع الدولة التى يهمها « الاحتفاظ بسمعة سلامة النقود وتوفيرها للتداول فى الأسواق »(٣٩) •

وكان للصيرفة نشاط ملحوظ فى العصر العباسى الأول نظرا لجودة النقود من نجهة ثم لازدهار التجارة من جهة أخرى • وأدى اتساع أعمال الصيرفة الى التوسع التجارى والصناعى بشكل طبيعى • ومع ما يتطلبه هذا التعامل مع هؤلاء الصيارفة من الحذر الشديد نظرا لتعاملهم بالربا ، الا أن التجار المسلمين تعاملوا معهم وفقا للضوابط الشرعية فى هذا الشأن•

(ب) السفتجة : هى « أن يعطى رجل مالا لآخر وللآخذ مال فى بلد المعطى فيوفيه اياه ، فيستفيد أمن الطـــريق »(٤٠) فهى وســـيلة للأمان ، استعملها التجار لحفظ أموالهم ، وتسهيل حركتهم التجارية ، سواء عن طريق تسوية الديون أو تصفية الحسابات • وقد وجـــدت فى العصر العباسى الأول منذ عهد الخليفة أبى جعفر المنصور(٤١) •

(جـ) الصك : الصك الكتاب ، فارسى معرب والأصل (جك) ، والصك الذى يكتب فيه للعهدة(٤٢) ، وهو وســـيلة من وسائل الائتمان القديمة كان يستخدم لدفع الأرزاق والاعطيات لوقت مؤجل(٤٣) ، ولعل أول اشارة نحصل عليها فى استخدام الصكوك فى العصر العباسى الأول ظهرت فى عهد الخليفة هارون الرشيد(٤٤) (١٧٠ ـ ١٩٣هـ/٧٨٦ ـ ٨٠٨م) ، وقد اتسع استخدامه نظرا لحاجة التجار والصناع ، والدولة على حد ســـــواء ، وكان عـــادة يصرف من بيت المـــال أو المصارف الخاصة(٤٥) •

(د) انشاء الشركات : ذلك أن حركة التجارة ولدت أنواعا مختلفة من الشركات ، وان كان الأمر ليس بجديد فى عصر هذه الدراسة • ولكن توسع التجار والشركاء فى انشاء الشركات خـــدمت قطاعى التجـــارة والصناعة على حد سواء وكانت على النحو التالى :

١ ـ شركة الأموال ، وهذه تتطلب دفع مبالغ مالية من كل شريك•

٢ ـ شركة الأعمال ، وهذه تتطلب جهودا ذهنية وبدنية •

٣ ـ شركة الوجوه ، وهذه تتطلب الثقة بين الشركاء والمتعاملين معهم نظرا لعدم وجود مبالغمالية لتأسيس شركاتهم لأنهم يأخذون بتأجيل ويبيعون ويتقاسمون الربح •

٤ ـ شركة المضاربة ، وهذه تتطلب العمل من الشركاء أو احدهم مقابل جزء من الربح(٤٦) •

(هـ) انشاء النقابات المهنية ، التى كان شـــعارها « الصـناعة نسب »(٤٧) • والنسب كما نعلم يجمع على التحاب والتناصر ، وهـذا بدوره أدى الى تعاون أبنـاء الصنف الواحـــد ، وشـــعورهم بالارتباط الوثيق مع بعضهم(٤٨) ، فكان لكل حرفة شعارها ومراسيمها ولكل صناعة نقيبها •

★ ★ ★

من خلال العرض السابق للأساليب التجارية ندرك أن التوسع فى وسائل الائتمان وكثرة المؤسسات المصرفية قـد ســـاعد على خلق أجواء متناسبة ومتفاعلة مع الأنشطة التجارية والصناعية •

★ ★ ★

وبعد ، فانه يتبين لنا مما ســـبق أن الازدهار التجارى والصناعى الذى شهدته الدولة الاسلامية فى العصر العباسى الأول لم ينبع من فراغ وانما هناك عوامل عدة اسهمت فى تحقيقه وساعدت على رقيه •

الهوامش والتعليقـــات

(١) سورة البقرة ، آية (٢٧٥) ٠

(٢) السيوطى : الدر المنثور ، جـ٢ ، ص ١٤٤ ٠

(٣) سورة الحديد ، آية (٢٥) ٠

(٤) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٩٧ ٠

(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جـ٢ ، ص ٣٠٩ ٠

وقد يلوح لنا أن هذه الأرقام فيها شيء من المبالغة وان كان كذلك الا أنها تدل فى المقابل على قوة الاقتصاد العباسى ٠

(٦) من كتب الحسبه نذكر : نهاية الرتبه فى طلب الحسبه للشيزرى ، ونهاية الرتبه فى طلب الحسبه ، لابن بسام ، ومعالم القربة فى أحـــكام الحســـبه ، لابن الأخوة القرشى ٠

(٧) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١١٩ ، وهذا الموقع المميز للعراقيين جعلهم وسطاء فاعلين فى تجارة العالم المتمدن ٠

(٨) الصابى : تحفـة الأمـــراء ، ص ١١ ، مســـكويه : تجارب الأمم ، جـ١ ، ص ١٨ ، التنوخى : نشوار المحاضرة ، جـ١ ، ص ٢٦ ٠ ابن الأثيـــر : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص ٤٢ ٠

(٩) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٢٠٩ ٠

(١١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ٠

(١٠) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٩ ٠

(١٢) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابه ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ٠

(١٣) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٣٣ ٠

(١٤) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٧ ٠

(١٥) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٣٣ ٠

(١٦) ابن خرداذبه : المسالك و والممالك ، ص ١٥٤ ٠

(١٧) المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٥ ٠

(١٨) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٤٣ ٠

(١٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ص ٧ ، ص ٢١٥ ٠

(٢٠) سورة البقرة ، آية ٢٧٥ ٠

(٢١) الجهشيارى · الوزراء والكتاب ، ص ١٠٠ ، ٢٢٠ ·

(٢٢) رواه مسلم فى صحيحه ، جـ٣ ، ص ٣١٢ ·

(٢٣) أحمد الشرباصى: المعجم الاقتصادى الاسلامى ، ص١٥٩ ، على عبدالرسول: المبادىء الاقتصادية فى الاسلام ، ص ٦٣ ·

(٢٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٥٢ ·

(٢٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٧٥ ·

(٢٦) المصدر السابق نفسه ، ص ٨٥ ·

(٢٧) زكى حسن : فنون الاسلام ، ص ٨٧ ·

(٢٨) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٣٨ ، الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٤٢ ·

(٢٩) طين الختم : هو الطين السيرافى ، نوع من التراب ، يعجـــن بالماء ، ويستخدم فى ختم الرسائل ، وهو البديل عن الشمع الأحمر اليوم ، انظر ضيف الله الزهرانى ، موارد بيت المال ، ص ١٧٢ هامش (*) ·

(٣٠) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ · أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ، ص ٢٥١ ·

(٣١) المحتسب ، نوعان : محتسب متطوع يقوم بالعمل من تلقاء نفسه ، ومحتسب مكلف من قبل ولى الأمر للقيام بمهام الحسبة ، التى تعنى « الأمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر اذا ظهر فعله » ·
انظر : الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ١٩٧ ·

(٣٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٠ ، ص ٢٢ ـ ٢٤ ·

(٣٣) لمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على رسائل اخـــوان الصفا ، جـ١ ، ص ٢١٩/٢٢٠ · الجاحظ ، التبصر بالمتاجرة ، ص ٢٤/٣٢/٣٣ ·

(٣٤) اليعقوبى : البلدان ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ، ص ٩٤ وما بعدها ·

(٣٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٣ ·

(٣٦) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ٩٢ ·

(٣٧) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٨٣ ·

(٣٨) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ، ص ١٦٥ ، أحمـــد الشرباصى : المعجم الاقتصادى الاسلامى ، ص ٢٥٨ ·

(٣٩) صالح العلى : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة ، ص٢٩٦·

(٤٠) ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣ ، ص ١٢٣

(٤١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٨٩/١٠٩/١١٠ ٠

(٤٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ١٠ ، ص ٤٥٧ ٠

(٤٣) المصدر السابق نفسه ، جـ١٠ ، ص ٤٥٧ ٠

(٤٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ١٩٦ ٠

(٤٥) الصابى : الوزراء ، ص ٢٣٥ ٠

(٤٦) لمزيد من التفاصيل عن الشركات انظر : السرخسى : المبسوط ، جـ١١ ، ص ١٥٢/١٥٦/١٧٣/١٧٩ ٠ عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصـــادى ، ص ١٢٦ ـ ١٣٠ ٠

(٤٧) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٢٧ ٠

(٤٨) صباح الشيخلى : الاصناف فى العصر العباسى ، ص ١٣٣ ٠

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصـــادر :

القـــرآن الكريم

ـــ ابن الأثير : عز الدين ، أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى (ت٦٠٣هـ)
« الكامل فى التاريخ » ، نشر : دار صادر ، ودار بيروت ، لبنان، طبعة بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ٠

ـــ ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ) ٠
« المسالك والممالك » ، نشر : مكتبة المثنى ببغـــداد ، باعتنـاء دى خويه ، ليدن ١٩٨٩م ٠

ـــ ابن خلدون : ولى الـدين ، أبو زيد ، عبـــد الرحمن بن محمـــد (ت ٨٠٨هـ) ٠
« المقدمة » ، مطبوعات ومنشورات دار الشعب بالقاهرة ٠

ـــ ابن منظور : جمال الدين ، أبو الفضل ، محمد بن جـــلال الدين المصرى (ت ٧١١هـ) ٠
« لسان العرب » ، دار صادر ، ودار الفكر ، بيروت ٠

ـــ التنوخى : أبو على ، المحسن بن أبى القاســـم على بن محمـــد (ت ٣٨٤هـ) ٠
« جامع التواريخ ، المسمى ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » تحقيق : عبود الشالجى ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣م ٠

ـــ الجاحظ : أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ٠
« التبصر بالتجارة » ، نشره ، حسن حسنى عبد الوهاب ، المطبعة الرحمانية ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ٠

ـــ الجهشيارى : أبو عبدالله ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ) ٠
« الوزراء والكتاب » ، تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شـلبى ، طبعـــه ونشره ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ/١٩٣٨م ٠

— السرخسى : أبو بكر محمد بن أبى سهل (ت ٤٩٠هـ) .
« المبسوط » ، طبع ونشر : دار المعارف ، بيروت .

— السيوطى : جلال الدين ، أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ) .
« الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » ، دار القلم بالقاهرة .

— الصابى : أبو الحسن ، هـــلال بن الحســـن بن ابراهيم الحرانى (ت ٤٤٨هـ) .
« تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » تحقيق : عبد الستار أحمـــد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

— قدامة بن جعفر ، (ت ٣٣٧هـ) .
« الخراج وصنعة الكتابه » ، تحقيق : طلال رفاعى ، طبع ونشر : مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

— القلقشندى : أبو العباس ، أحمد بن على (ت ٨٢١هـ) .
« صبح الأعشى فى صناعة الانشا » ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

— الماوردى : أبو الحسن ، على بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) .
« الأحكام السلطانية والولايات الدينيـــة » طبع ونشر : مصطفى الحلبى وأولاده ، مصر ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

— مسكويه : أبو على ، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ) .
« تجارب الأمم » ، نشر ، مكتبـــة المثنى ، ببغـــداد ، باعتناء دى خويه ، ليدن ، ١٨٧١م .

— مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١هـ) .
« صحيح مسلم » ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث العربى .

— المقدسى : محمد بن أحمد ، المعروف بالبشارى ، (ت ٣٨٠هـ) .
« أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ، باعتناء دى خويه ، ليدن ، ١٩٠٦م .

ثانيا : المراجـــع

- أحمد الشرباصى ، « المعجم الاقتصادى الاسلامى » دار الجيل ، ١٤٠١هـ .
- أنور الرفاعى ، « النظـم الاسـلامية » ، دار الفـكر ، دمشـق ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- حسن ابراهيم حسن ، « تاريخ الاسلام ، السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى » ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .
- زكى محمد حسن ، « فنون الاسلام » طبع ونشر : دار الفكر .
- صـالح أحمـــد العلى ، « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى » ، طبع ونشر : دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .
- صباح ابراهيم الشيخلى ، « الأصناف فى العصر العباسى ، نشأتها وتطورها » نشر : وزارة الاعلام العراقية ، طبع : دار الحرية ، بغداد ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
- ضيف الله بن يحيى الزهرانى ، « موارد بيت المـــال فى الـدولة العباسية » طبع ونشر : المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- عبد العزيز الدورى ، « تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى » طبع ونشر : مكتبة المشرق ، والمكتبة الشرقية ، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤م .
- على عبد الرسول ، « المبادىء الاقتصادية فى الاسلام ، والبنـاء الاقتصادى للدولة الاسلامية» طبع ونشر : دار الفكر العربى١٩٦٨م.